

عمر سبيكة

إلى آخر المطر

نصّ شعري

تونس

2011

رسالة إلى أمي

صباح الخير يا أمي،
أكتب إليك بعد انطفاء الليل، و بعد انسحاب حرّاس
الليل، حرّاس القصر من مداخل بستاننا المقفل، أكتب
إليك بعد انتصار المعطلين عن الأمل في ثورة الحرّية و
الكرامة التي أطلقها البوعزيزي من مدينة سيدي بوزيد
الكادحة، هذا الشاب الذي رفض الإهانة، و أضرم النار في
جسده التحيف و في سلطة القصر الكاتمة أحلام الشعب
الفقير،

و ليطفئ حياته و الظلمة الظالمة.

صباح الخير يا أمي،

أكتب إليك من هنا، من غرفتي الغائمة، أكتب إليك من
هنا، من غربتي الدائمة، أنت تدرين يا أمي، أنّها جنّتي
و منفاي، و تدرين، ليس لي في بلادي فسحة أو ملجأ
ينأى بي عن الظلمة الظالمة.

صباح الخير يا أمي،

أحاول أن أصدّق أنّي انتصرت ككلّ التونسيّين، لكنني مفردا مازلت بعد الثّورة، و مازلت ممنوعا من النّحو و من الصّبر، مازلت مجردا من حقّ إعلان استقلاليتي، مازلت مجردا من استقلالية انتصاري، و من حرّيّتي الممكنة، أحاول أن أكون مفردا في صيغة الجمع، أن ألتقي في بياني مع من أعلنوا الفرح، أحاول أن أطلق فكرتي و سؤالي، أحاول تأكيد اعترافي بحقّ الآخرين، و لكنهم لا يعترفون بفكرتي

و لا يعترفون بسؤالي.

صباح الخير يا أمّي،

أنت تدرين أنّي متطرّف حدّ التّطرّف في يقيني بحقّ الآخرين في الاختلاف معي، متطرّف حدّ التّطرّف في حبّ الآخرين، متطرّف حدّ التّطرّف في التسامح، لكنني أبقى متمردا على قانون الغاب، قانون الإلغاء، و على قانون مصادرة الأحلام و الأنسام، و مصادرة إنسانيّة الإنسان، متمردا على ظلمة السّجن و السّجان، متمردا على محكمة الفكر الواحد، و متمردا على فخامة الرّأي الواحد، و سأبقى متمردا على عقيدة الإقصاء.

صباح الخير يا أمي،

لم يسمحوا لي بإعلان جمهورية الشّعب، جمهورية السّبائرين
على الماء، لم يأذنوا لي بإلقاء سُؤالي البريء، لم يسمحوا
لي بتأنيث بستانني العابق، أطلقوا خلفي أصحاب السّواعد،
أطلقوا خلفي عسكرهم و البوليس، أطلقوا خلفي الفتاوى،
أطلقوا خلفي الويل و اللّيل و الخيل، و كان أكثرهم رحمة
بي قد نصحني بعد الثّورة طبعاً بالرحيل إلى غربة أخرى.

صباح الخير يا أمي،

أنت تدرين أنني متشبّث بقداسة استقلاليّتي عن جميع
أحزاب المقاولات، و متشبّث خاصيّة بقداسة استقلاليّتي
عن جميع مقاولات الأحزاب، و متشبّث بإعلان انتصاري
الممكن، لذلك فإنني سائر حتما نحو غربة أخرى.

لا أصدّق أنّ البلاد تخلّت عنيّ مرّة أخرى بعد الثّورة،
و لكنّ المحزن حقاً هذه المرّة أنّها تخلّت عنيّ نهائيّاً، فلم
يعدّ بالعمر متّسع لأعود إلى بستانني المصادر منتصراً مرّة
أخرى، لم يعدّ بالعمر متّسع لكي أتعلّق باللحظة القادمة، لم
يعدّ بالعمر متّسع لأصدّق وعود الثّورة القادمة.

صباح الخير يا أمي،
أنت تدرين أنني مؤمن بالقضاء و القدر، خيره و شرّه، لكنني
كافر، قبل و بعد الثّورة، بقدر يمليه القاتل على القتلى،
كافر قبل الثّورة و بعد الثّورة بعقيدة الإلغاء، كافر بعقيدة من
يريد مصادرة الوردة من بستاني، كافر بالموت، بالصيّمت،
بإملاءات القصر، كافر خاصية بالإله المحيِّط، كافر بعقيدة
المخاتلين المختفين خلف قناع الثّورة في بلادي.

حمّام الأنف في 10 أفريل 2011

على عتبات النصّ

تأتين من حلال الورد

إلى سعيدة دائما

يجرؤ الورد حين تبوحين،
،يشقق من عطرك المطمئن اليقين
لعلك حين تبوحين
،تختصرين المسافة بيني و بيني
لعل احتفالك
يهدي إلى جوقة الهائمين سماء خرافية
تكتفي بمجاز التجاوز،
،تغترف الوصف من نظرة الطفل
الطفل يشرق،
يطلق ساح راياته المشرببة،
مازال طفل العبارة
يخترق القفر،

حين تبوحين،
حين تصوغين إشرافة الموعد العبق،
تحتفلين معي بانبثاق الحرائق،
بالانتصار العصي،
لعلك
حين تطلين من قاع منفاي،
تحتفلين معي بانبثاق المعاني،
هناك سماء حقيقية
ترتقي لسماء هواجسنا،
ترتقي لسماء
تميل إلى حلال الوصف في خاطر الطفل،
حيث الحريق
يكلل تهوية الوصف،
حيث الغريق
يريق انبثاق المشارف،

حين تبوحين،

تعلو السّماء إلى قاعها المتعالي،
و تعلو المعاني إلى عطرك المطمئنّ،
تلوح البلاد البعيدة،
لا أدرك الماء،
لكنّني دافق في الطّريق المبلّل...
حين تبوحين،
حين تطلّين من شرفة العطر،
يغمرنني الياسمين بأوصافه،
أكمل الوصف
و الماء يطرد،
حين تأتين،
أرتجل الذّوبان على وجنات اللّقاء،
و يهفو الغريق
إلى لمعة الحفل في نظراتك،

تأتين من فرحة العشب،
تأتين من نظرة تشرئبّ،

و تأتيين
من أفق عارم،
يجرؤ الورد
حين
تصوغين حرّية الامتثال
إلى دولة يتغمّدها العطر،
لا شيء يفضحني
غير وجه الغريب الذي كنت ...
لا شيء يفضحني
غير نافذة
تتصايح في حفلة الصّمت و الموت
في خاطر الطّفّل،

لا شيء يقطعني
عن سماء المتاهة
غير احتمال حضورك،
لا شيء ينتصر الآن

في جسدي
غير وثبته
في الزّمان المكان
إلى عطرك المتمادى.
فكوني يقين المسافر،
كوني،
وكوني انبثاق المشارف،
كوني،
لكي أكمل الوصف،
لا تسأليني
متى تنتهي اللّحظة الظّالمه،

حين تمشين حافية
فوق أرض حقيقيّة،
أدّعي أنّ نبضي
يريق الطّريق إلى حفلة الماء،
لا أنتهي